البرنامج :

1. النظرية النقدية الأسس النظرية
2. رواد التيارات النقدية
3. مدرسة فرانكفورت و نقد الواقع
4. المدرسة النقدية البريطانية برمنغهام
5. المدرسة الأمريكية
6. بحوث الإعلام و الاتصال من منظور التيارات النقدية
7. نظرية التجكم بالجماهير
8. خصائص جماهير وسائل الإعلام
9. تلقي المواد الإعلامية و الثقافية
10. وسائل الاتصال و المجتمع المعاصر: المجتمع المشهدي، المجتمع الحقيقي و الافتراضي
11. الأيديولوجيا و المجتمع الشبكي
12. ديموقراطية الإعلام و الاتصال

النظرية النقدية : الأسس النظرية :

تعريف النظرية النقدية :

يقصد بالنظرية النقدية تلك النظرية التي كان ينطلق منها رواد مدرسة فرانكفورت في انتقادهم للواقعية الساذجة المباشرة، فالنظرية النقدية تعني نقد النظام الهيجلي، و نقد الاقتصاد السياسي، و النقد الجدلي ، و تهدف إلى إقامة نظرية اجتماعية متعددة المصادر، و المنطلقات كالاستعانة بالماركسية ، و التحليل النفسي، و الاعتماد على البحوث التجريبية، فهي نقض للواقع، و نقد للمجتمع بطريقة سلبية ايجابية، و يعني هذا بشكل اخر أنّ نقد متناقضات المجتمع ليس فعلا سلبيا، بل هو فعل ايجابي في منظور مدرسة فرانكفورت .

جذور النظرية النقدية :

قامت النظرية النقدية على إرث فلسفي قديم يقوم على التشكيك في الواقع، و كان أبرز رواد هذا الإرث سقراط من خلال تشكيكه في المعتقدات السائدة، حيث أخضع اعتقادات راسخة لفترة طويلة للتدقيق العقلاني، و أعمل فكره في مسائل تتجاوز النظام القائم، و قد ظهر هذا الاتجاه الفلسفي الجديد في الفترة ما بين الحربين العالميتين، و قد شن ممثليها حربا على الاستغلال و القمع و الاغتراب التي تنطوي عليها الحضارة الغربية .

تتجاوز النظرية النقدية التفسير و الشرح، و هدفها صنع التغيير، أي أنها تفتح المجال واسع أمام البشر للتخلص من ظروف الهيمنة و القهر في مجتمعاتهم، حيث أنها تنقد المجتمع لأجل التغيير، و بما أنها تدرس الواقع بقصد تغييره، فإنّ أفكار كارل ماركس تعد الانطلاقة الأولى لهذه النظرية، إلا أنّ تأسيسها في إطار مدرسة فلسفية كان مع مدرسة فرانكفورت في ثلاثينيات القرن العشرين، و تعد النظرية إحدى الحركات الفلسفية لما بعد الحداثة كونها تدرس و تنقد المجتمع الحديث .

لقد نمت النظرية النقدية في البوتقة الفكرية الماركسية ، إلا أنّ ممثليها الرواد رفضوا منذ البداية الحتمية الاقتصادية، و النظرية المرحلية للتاريخ، و أي اعتقاد في الانتصار المحتوم الاشتراكية، و كانوا أقل اهتماما بما أطلق عليه ماركس القاعدة الاقتصادية منهم بالبنية الفوقية السياسية و الثقافية للمجتمع، لقد كانت ماركسيتهم مختلفة إلى حد ما، حيث ركزوا على منهجها النقدي أكثر مما ركزوا على ادعاءاتها التنظيمية، و على اهتماماتها بالاغتراب، و على علاقتها المعقدة بأفكار عصر التنوير، و على تشديدها على دور الإيديولوجيا، و على كل الأفكار الأخرى التي يقوم عليها الفكر الماركسي، حيث تشكل هذه

المجموعة من المحاور جوهر النظرية النقدية حسبما استوعبها رائدا الماركسية الغربية كارل كورش و جورج لوكاتش، حيث قدم المفكران إطار عمل المشروع النقدي الذي بات يعرف لاحقا بمعهد البحث الاجتماعي أو مدرسة فرانكفورت .

أفكار النظرية النقدية :

ـ ترفض النظرية النقدية ربط الحرية بأي تنظيم مؤسسي أو منظومة فكرية محددة .

ليست هذه النظرية بحاجة إلى توظيف ما يعرف بالفلسفة الدائمة، إذ تصر على أنّ التفكير يجب أن يستجيب للمشكلات و الاحتمالات الجديدة للتحرر و التي تنبثق عن تغير الظروف التاريخية

تتسم النظرية النقدية بأنها متعددة التخصصات، و تجريبية في جوهرها على نحو فريد، و مشككة على نحو عميق في التقاليد و المزاعم المطلقة كافة

لا تهتم النظرية فقط بالكيفية التي هي عليها الأمور بالفعل، و إنما أيضا بالكيفية التي يمكن أن تكون الأمور عليها، أو يجب أن تكون عليها، و قد دفع هذا الالتزام الأخلاقي مفكريها الكبار لتطوير مجموعة من الموضوعات و المحاور، و منهج نقدي جديد غير طريقة فهمنا للمجتمع .

و لقد جسد كل من كانط و هيجل الافتراضات العامة للنظرية و المستمدة من عصر التنوير الأوروبي خلال القرنين السابع عشر و الثامن عشر، فقد اعتمدا على العقل لمحاربة الخرافة، و الانحياز و الاستبداد و الممارسات التعسفية من جانب السلطة المؤسسية، كما وضعا افتراضات بشأن الآمال الانسانية التي تعبر عنها الجماليات، و الرغبة في الخلاص التي تنطوي عليها الأديان، و طرق التفكير الحديثة حول العلاقة بين النظرية و التطبيق .

أهداف النظرية :

حسب هوركايمر تهدف النظرية النقدية إلى تحقيق ثلاث مهام :

1. الكشف في كل نظرية عن المصلحة الاجتماعية التي جاءت بها وحددتها، و هنا يتوجه هوركايمر كما فعل ماركس إلى تحقيق الانفصال عن المثالية الألمانية ، و مناقشتها في ضوء المصالح الاجتماعية التي أنتجتها .

2. و تتمثل المهمة الثانية للنظرية النقدية في أن تظل هذه النظرية على وعي يكونها لا تمثل مذهبا خارج التطور الاجتماعي التاريخي، فهي لا تطرح نفسها باعتبارها مبدأ إطلاقيا، أو أنها تعكس أي مبدأ إطلاقي خارج صيرورة الواقع، و المقاس الوحيد الذي تلتزم به هو كونها تعكس مصلحة الأغلبية الاجتماعية في تنظيم علاقات الانتاج بما يحقق تطابق العقل مع الواقع ، و تطابق مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة .
3. بينما تتمثل المهمة الثالثة للنظرية في التصدي لمختلف الأشكال اللامعقولة التي حاولت المصالح الطبقية السائدة أن تلبسها للعقل، و أن تؤسس اليقين بها على اعتبار أنها هي التي تجسد العقل، في حين أنّ هذه الأشكال من العقلانية المزيفة ليست سوى أدوات لاستخدام العقل في تدعيم النظم الاجتماعية القائمة، و هو ما أطلق عليه هوركايمر بالعقل الأداتي .

رواد النظرية النقدية :

ماكس هوركايمر

ومن ثم، يعد ماكس هوركايمر من المؤسسين الحقيقيين لمدرسة فرانكفورت، وقد كان مديرا لها منذ 1931م، وقد اهتم في بداية المعهد بدراسة الفلسفة الاجتماعية،ونقد المذهب الوضعي والمثالية الألمانية والوضعية المنطقية، وهاجم الميتافيزيقا الغربية على غرار جاك ديريدا ومارتن هايدجر. وقد عاب هوركامير على الوضعية ميلها الكبير إلى العلمية والموضوعية والتجريبية، وتشييء الإنسان، وفصل الحقيقة عن القيم، كفصلها المعرفة عن المصالح البشرية.

وهكذا، يقدم هوركايمر، مقابل الوضعية وعلى النقيض منها، "نظرية جدلية تظهر فيها الحقائق الفردية بذاتها في ترابط لا لبس فيه دائما، وتسعى لأن تعكس الواقع في كليته. فضلا عن ذلك، فإن الفكر الجدلي، يوحد المكونات التجريبية في تركيبات من الخبرة... المهمة للمصالح التاريخية التي يرتبط بها الفكر الجدلي... فعندما يعي فرد فعال من ذوي الحس السليم الوضع الكريه للعالم، فإن الرغبة في تغييره تصبح هي المبدأ المرشد الذي ينظم به الحقائق المعطاة، ويشكل منها نظرية... وبقدر ما يعتمد التفكير الصائب على إرادة قويمة، بقدر ما تعتمد الإرادة القويمة على التفكير الصلب"([5].(

ويتابع ماكس هوركايمر التعريف بنظريات مدرسة فرانكفورت وتوجهاتها في مقال قيم تحت عنوان: "النظرية التقليدية والنظرية النقدية" (1937م)، يوضح فيه أسس المدرسة ومرتكزاتها النظرية والتطبيقية. وقد سعى هوركايمر جادا إلى تسليح الطبقة العاملة (البروليتاريا) بفكر نقدي تغييري، ووعي طبقي تنويري. وقد اهتم هوركايمر بالمجال الثقافي، واهتم كذلك بالفرد كمركز للفكر والعمل، متأثرا في ذلك بالفلسفة الوجودية السارترية وفلسفة ماكس فيبر، واعتنى بشكل من الأشكال بعلم نفس الفرد والتحليل السيكولوجي. وقد انتهى هوركايمر في نهاية حياته عن أن يكون منظرا نقديا، فتحول إلى راهب ديني وصوفي، حينما جعل كانط وهيجل فوق ماركس.

هربرت ماركوز: الاعلام وصناعة الانسان ذو البعد الواحد

ولد ماركيوز في برلين، و حصل على الدكتوراه من جامعة فرايبورغ تحت إشراف هيدجر، عمل في معهد البحث الاجتماعي في فرانكفورت حتى عام 1933 حيث تم إغلاق المعهد لدى تسلم النازية الحكم في ألمانية . واضطر ماركيوز لمغادرة ألمانيا هرباً من البطش النازي إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث انضم إلى معهد البحث الاجتماعي في جامعة كولومبيا عام 1934، وخلال الأربعينات عمل مع العديد من المؤسسات الثقافية الحكومية في أمريكا، ودرّس في العديد من الجامعات الأمريكية بنجاح منذ عام 1950 ، وقد عرف ماركوز بعدائه الشديد للهيمنة التقنية، وكان يعتبر العقل المنغلق سببا في استلاب الإنسان، وتحويله إلى آلة انتاجية ليس إلا. ومن ثم، فقد بلور ماركوز فلسفة تشاؤمية بسبب اغتراب الإنسان في المجتمع الصناعي الحديث الذي تغلب عليه التقنية، ويضيع فيه الإنسان باعتباره ذاتا وكينونة ووجودا، وهي نفس النزعة التشاؤمية الموجودة عند ماكس فيبر، و يرجع هذا التشاؤم إلى شعور فئة معينة من المجتمع أي: الشريحة العليا المثقفة من الطبقة الوسطى، أو الصفوة المثقفة بالإحباط وخيبة الأمل.

حلل ماركيوز المجتمع الرأسمالي – متأثراً بمشاهداته للمجتمع الأمريكي – محاولاً استكشاف الحلقة الجديدة في استغلال الإنسان، فأسس لمفهوم الهيمنة لتوضيح كيفية استعباد الإنسان في مجتمع التقنية والعقلانية الأداتية، حيث الإنسان مستلب لصالح فيض إنتاجي استهلاكي (ماركس) ومستعبد من قبل لاشعور(فرويد) ذاخر بأمراض مجتمع التقنية الأداتي، فركز ماركيوز تحليله على النسق الثقافي و الإعلامي لتوضيح كيفية السيطرة على الإنسان بحيث تغدو الديمقراطية قمعاً مموهاً . .

طرح ماركيوز رؤيته الرئيسية للسلطة الهائلة للتكنولوجيا وخاصة تكنولوجيا الاتصال والاعلام فى كتابه " الانسان ذو البعد الواحد" حيث اوضح التفاقم الهائل لسلطة الآلة والتكنولوجيا فى المجتمعات الصناعية المتقدمة ودورها فى انتاج نمط من العلاقات بين الفرد والمؤسسات التى تتحكم فى الوجود الاجتماعى. فقد قام ماركيوز بتاسيس نظريته النقدية من خلال رصد واستقصاء وسائل السيطرة والهيمنة التكنولوجية والثقافية داخل المجتمعات الرأسمالية المتقدمة تكنولوجيا. ويرى أن الأدب والفن والجنس يتم استيعابها فى هذه المجتمعات داخل الموجة العاتية للاستهلاك والنزعة التجارية، الأمر الذى يحول الثقافة الى غذاء استهلاكى يومى أحادى البعد (عواطف عبد الرحمن،2002(

من ناحية ثانية يؤكد ماركيوز على أن المجتمع المعاصر يتسم بالانغلاق والهيمنة على المستوى الفكرى والسياسى والاجتماعى، حيث يحول الانسان فيه الى انسان ذو بعد واحد بمعنى أنه لا يسمح له ابدا بالتطلع الى التغيير بحيث يندمج كليا فى مجتمعه و يتكيف كليا مع ما هو قائم ولا يتطلع الى ما وراء ذلك ، كما شرح ماركيوز أسباب انكفاء النقد وتخدره في المجتمع التقني الرأسمالي حيث أنه في ظل المجتمع الصناعي المعاصر الذى وصفه بالطابع الكلى فإن أسس النقد يتم تقويضها، من خلال تكريس منظومة كاملة للسيطرة والهيمنة، وتعد التقنية او التكنولوجيا عند ماركيوز كعقلانية هى فى ذاتها الية من اليات الهيمنة كما ذهب ادورنور وهوركهايمر.

لذلك يرى ماركيوز أنه فى المجتمع التقني ينحو الإنتاج منحى الكلية totalitarian ليحدد الحاجات الفردية و نشاطات الحياة الاجتماعية، فتزول الحدود بين عالم الحياة الخاص و العام، و تندمج الحاجات الفردية بالحاجات الاجتماعية، هذه الكلية (التوتاليتارية) سمة مشتركة بين أنظمة أوربا الشرقية والأنظمة الرأسمالية .

يرى ماركيوز ايضا أنه وعلى الرغم من أن التطورات التكنولوجية اللامتناهية، إلا أن المجتمع الصناعي التكنولوجي المعاصر ذو نزعة كلية استبدادية سياسياً و اقتصادياً، ويحقق تحكمه عبر تصوير بعض المصالح الخاصة لفئة معينة كما لو أنها مصلحة عامة، والإشكالية هنا أن القمع السياسي لا يتم بالطريقة البدائية السافرة إنما يتم عبر نظام نوعي للإنتاج و التوزيع مترافق مع تعددية حزبية وصحافة حرة و فصل للسلطات مما يموِّه العملية، و يجعل الاستبداد ذا عباءة ديمقراطية .

لذلك فهو يرفض التصور القائل بحيادية التكنولوجيا ويراها آلية من آليات الاستبداد .

و حتى يوضح ماركيوز كيف تتم الهيمنة و الرقابة على الأفراد حتى لا يخرجوا عن الإطار المرسوم لهم لضمان سير النظام على أكمل وجه، يجب التمييز بين حاجات حقيقية و حاجات كاذبة، فالحاجات الكاذبة هي الحاجات التي تفرضها مصالح اجتماعية معينة لتبرير العدوان و الظلم، و هي تحقق شعوراً بالسعادة لكنه شعور زائف كونه يمنع الفرد من إدراك الشقاء العام، و بعبارة أخرى " تجعله يرى الرفاه في الشقاء"

ولقد اشار الى مصطلح مهم هو صناعة الثقافة Culture industry حيث تقوم الصناعة بتلبية جميع حاجات المشاهدين، تلك الحاجات التى يتم اصلا تحديدها مسبقا، بحيث يرى المشاهد نفسه مستهلكا لصناعة الثقافة التى توهمه بانها تشبع احتياجاته. وبذلك فمن خال الاعلام والثقافة تم السيطرة على الفرد وبسطت الدولة هيمنتها عن طريق تعزيز الوعى الزائف وتقييد الفكر المعارض والنقدى من جانب الانسان الذى تحول ليكون ذو البعد الواحد. .

ولقد استخدام مصطلح الصناعات الثقافية كلا من أدورنو وهركهايمر ايضا وقاما بتوضيح ان السينما والافلام والاذاعة والصحافة تمثل نسقا متسقا أدى لفوضى ثقافية تطبع كل الاشياء بطابع نمطى واحد فى حياتنا اليومية.

إن هذه العملية تجعلنا ندرك زيف الحرية الرأسمالية الملازمة للمجتمع المعاصر كما يؤكد عمار عكاش، "فدوماً هناك حاجات ملّباة لكنها حاجات مخلوقة من خارج الإنسان مفروضة عليه، و هذه العملية تدور بدون توقف"، وبالتالى فمن غير المنطقى ان توصف بانها حرية اختيار لاشياء مفروضة سلفا " فالحرية الإنسانية لا تقاس تبعاً للاختيار المتاح للفرد إنما العامل الحاسم الوحيد في تحديدها هو ما يستطيع الفرد اختياره و ما يختاره، فقدرة المرء على اختيار سادته بحرية لا تلغي حقيقة وجود السادة و وجود العبيد " .

كما يرى ماركيوز إن الثقافة الرفيعة التي يرى فيها فرويد Freud جزءً من عملية التسامي عن الواقع، و التي يعتبرها ماركيوز ضرورية لخلق عالم بديل، فشلت، نتيجة هيمنة العقلانية التكنولوجية .فقد تدنت الثقافة الرفيعة إلى ثقافة جماهيرية، و بمتابعة وسائل الإعلام الجماهيري يمكننا رصد مظاهر الانحطاط الثقافي، حيث يجري الخلط بين الدين و الفلسفة و التجارة و السياسة و الفلسفة و التجارة في خدمة شكل بضاعي، و حتى موسيقى الروح المروّجة إعلامياً هي موسيقى تجارية . وفى هذا الاطار يقول أدورنو وهوركهايمر انه ينبغى على السينما والاذاعة الا تتمادى فى الادعاء بانها فنون وفى الواقع هى مجرد اعمال تاخذ طابع ايديولوجى لتبرير سوء منتجاتها.

وفى ضوء هذا الفهم لتسليع الفن يقول عمار عكاش أن تحويل الثقافة الرفيعة الى ثقافة شعبية لا يعنى كوننا نجحنا فى الوصول بالأدب والفن الى المستوى الجماهيرى على العكس لقد تم تسطيح الفن وتهميش قيمته من خلال التكنولوجيا و ثورة وسائل الاتصال والاعلام الجماهيرى " فموسيقى باخ تستخدم كموسيقى ناعمة للمطبخ، و مؤلفات أفلاطون و هيغل وبودلير وشيللر وماركس وفرويد تباع في المخازن العامة، فعلى الرغم من أن المجتمع المعاصر ألغى الشكل الأرستقراطي للثقافة باعتبارها ثقافة نخبة غنية مثقفة (أي ثقافة مجتمع قمعي) لكن ذلك لا يعني أن هذا المجتمع هو مجتمع غير قمعي، فهو حول الفن إلى فن أحادي البعد ".

وقد بين ماركوز في كتابه: "إنسان البعد الواحد" باختفاء الدور التاريخي الفعال للطبقة البورجوازية والطبقة البروليتارية على حد سواء، و هناك قوة واحدة مخفية متحكمة في مسار هاتين الطبقتين معا هي العقلانية العلمية التقنية. وليست هناك طبقة معارضة، فقد تم استيعاب الطبقة العاملة واسترضاؤها من خلال تحفيزات مادية استهلاكية، وترشيد عملية الإنتاج ذاتها. وقد أثارت أفكار ماركوز:"استجابة سريعة لدى حركة الطلبة الأمريكية في أواخر الستينيات بمعارضتها للنظام، ولدى حركات طلابية أخرى في دول أوروبية شتى إلى حدما. لكن الحركات الاجتماعية في ذلك الوقت كانت جميعها واقعة تحت تأثير تحليلات متنوعة عن البنية الطبقية المتغيرة، وعن مغزى التكنوقراطية والبيروقراطية، التي قدم علماء الاجتماع إسهامات ملحوظة بصددها .

وتتركز أفكار هربرت ماركوز سياسيا حول ثلاث قضايا شائكة : دور الطلاب في العالم الرأسمالي، والحركة الطلابية في فرنسا عام1968م، ودور الطبقة العاملة الحديثة في الغرب.

تيودور أدورنو :

ويعد تيودور أدورنو من أهم رواد النظرية النقدية، ومن المؤسسين الفعليين لمدرسة فرانكفورت، وقد انصب اهتمامه على مجال الثقافة، وبخاصة الموسيقا، والتحليل النفسي، ونظرية علم الجمال، متأثرا في ذلك بوالتر بنيامين، ولم يعرف بالنظرية الجدلية، بقدر ما عرف بالجدل السلبي في نقده للنظريات الفلسفية والنظريات الاجتماعية، كأنه يعيدنا بهذه الأفكار السلبية إلى مذاهب الشك والنسبية. وإذا كان هوركايمر وماركوز لهما صياغة اجتماعية إيجابية على أساس التصور الهيغلي للعقل، فإن آراء أدورنو كانت بعيدة عن الماركسية، على الرغم من كونه يدعي أن فلسفته مادية جدلية. وقد انتقد أدورنو مرات

عديدة أفكار ماركس، وخاصة علم التاريخ والمادية التاريخية، ولم يهتم بحال من الأحوال بتحليل ماركس الاقتصادي، وعلاقته بنظريته عن الطبقات، بل أخذ من جورج لوكاش المستوى السلبي من النقد الإيديولوجي في نقد الوعي الطبقي البورجوازي. وقد ساهم في بلورة النقد الثقافي كما يبدو ذلك واضحا في بحثه الذي كتبه مع هوركايمر بعنوان:"جدل التنوير" (1944م)، حيث انتقد فيه العقل العلمي الوضعي الذي يقدم حقائق زائفة عن الوضع البشري، وانتقد العلم والتقنية، وكان يرى أنها سببا في استلاب الإنسان واستغلاله، وأنها وهم إيديولوجي زائف ليس إلا. كما انتقد الثقافة الجماهيرية الساذجة التي تساعد على انتشار الإيدولوجيا الواهمة.

ومن جهة أخرى، رفض أدورنو نظرية لوكاش الواقعية التي تقوم على الانعكاس المباشر، حيث يتحول الأدب أو الفن في منظوره إلى مرآة تعكس بطريقة مباشرة مايقع في الواقع محاكاة وتمثلا ونقلا وتصورا. وقد اهتم أدورنو بالجمال اهتماما لافتا للانتباه، ويعد أدورنو كذلك من رواد نظرية الجمالية الجديدة، حيث ألف كتابا تحت عنوان:"نظرية الجمال"، حيث يعطي مفهوما جديدا للفن والجمال مخالفا للتصور الماركسي الذي يرى أن الجمال تمثل للعالم وانعكاس له، بينما يرى أدورنو أن الجمال أو الفن وسيلة هروب غامضة. و"هكذا، يرفض أدورنو نظرة لوكاش إلى الواقعية، مؤكدا أن الأدب لا يتصل اتصالا مباشرا بالواقع على نحو ما يفعل العقل، فتباعد الفن عن الواقع هو الذي يكسبه قوته ودلالته الخاصة.

ومن هنا، فالنظرية النقدية – حسب أدورنو – هي نقد للواقعية الماركسية الانعكاسية الساذجة، التي تعقد الصلة المباشرة بين الأدب والمجتمع في جل تناقضاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية، ويرى أدورنوا أن علم الاجتماع يجب أن يهتم بالايديولوجيا عن طريق أبحاثه في التواصل، ووضعه الى جنب المنتجين والمستهلكين لصناعة الثقافة الموضوعة بهدف انتاج معارف محدودة وعقل محدود، غير أن علم الاجتماع اذا أراد أن يصبح ناقدا للايديولوجيا يجب عليه أن يحلل وسائط الاتصال العامة ويدرس" سيناريوهاتها" التي تعرف بثقافة الجماهير، والتي تصب بعناية بالغة في تبرير ما هو موجود والسيطرة المحكمة على الذوق والنقد على حد سواء.

وعلى العموم تعلن تلك الايديولوجيا أنه ليس هناك ما هو أحسن مما هو كائن (وهذه الثقافة دعائية ليس إلا، وما تنفك تتحول رويدا رويدا إلى إرهاب، عندما تعمل على إقرار الوضع القائم كأمر لا مناص أو بديل عنه)

وفي الأخير، "لم ير أدورنو إمكانية لتحرير الفرد من التسلط والهيمنة، لا في ظهور جماعات معارضة جديدة، ولا في التحرر الجنسي، وإنما ارتأى هذه الإمكانية بالأحرى في عمل الفنان الأصيل الذي يواجه الواقع المعطى بالتلميح إلى مايمكن أن يكون. وعلى هذا، فإن الفن الأصيل يمتلك قوة غلابة، لدرجة يضعه أدورنو في مواجهة العلم الذي يعكس الواقع الموجود فحسب، فيما يمثل الفن الأصيل شكلا أعلى من أشكال المعرفة، وسعيا متجها إلى المستقبل وراء الحق".

والتر بنيامين

أما والتر بنيامين (1892–1940م)، فيعد أيضا من رواد مدرسة فرانكفورت، وقد تأثر بكتابات كارل ماركس وأفكار جورج لوكاش الواقعية، وتكمن أهميته في كونه قدم أفضل الصيغ في الفكر النقدي للأدب، وقد ساهمت نظريته بشكل من الأشكال في ظهور البنيوية التكوينية عند لوسيان كولدمان. وقد اهتم بالفن كأدورنو اهتماما لافتا للانتباه،حيث درس الأدب في ضوء مفاهيم ماركسية، حيث اعتبر الفن والإبداع الأدبي إنتاجا والمؤلف منتجا، كما يتضح ذلك جليا في كتابه: "المؤلف منتج" (1934م). وقد طالب بنيامين أن يكون الإنتاج ثوريا، وعاملا فعالا في خلق علاقات اجتماعية جديدة بينه وبين المتلقي.ويعني هذا أنه يدعو إلى الفن الثوري الذي يغير المجتمع شكلا ومضمونا، وينوره بشكل إيجابي عبر تمرير رسائل ثورية. ومن هنا، يعتمد الفن عند والتر بنيامين : "على تقنيات معينة من الإنتاج، شأنه في ذلك شأن غيره من أشكال الإنتاج.أي: يعتمد على أنماط معينة في الرسم والنشر والعرض المسرحي...إلخ. هذه الأنماط جزء من القوى الإنتاجية للفن، وجانب من مرحلة من مراحل تطور الإنتاج الفني، تتضمن جماعا من العلاقات الاجتماعية بين الفنان المنتج والمتلقي المستهلك".

ومن جهة أخرى، يرى بنيامين أن الاستنساخ الصناعي قد قضى على الفن الراقي والسامي، وحوله إلى كليشيهات لاحياة فيها ولاروح. وهكذا، يقول بنيامين في مقاله: "العمل الفني في عصر الاستنساخ الصناعي" (1933م): "إن الأعمال التراثية في الفن كانت تحيط بها هالة من التفرد والتميز والتباعد والديمومة.ولكن الاستنساخ الآلي للرسم، مثلا، قضى على هذا التفرد، وأحل محل اللوحة الفريدة نسخا

شعبية، فحطم بذلك من هالة الفن المتوحد المغترب، وأتاح للمشاهد أن يرى اللوحة حيث يشاء، وحين يشاء. وإذا كان البورتريه يحافظ على تباعده عن الموضوع، فإن آلة التصوير تنفذ إلى الموضوع، وتقارب بينه وبين المشاهد إنسانيا ومكانيا إلى أبعد حد، فتقضي على أي سحر غامض ينطوي عليه الموضوع. يضاف إلى ذلك أن الفيلم في آلة التصوير يجعل الناس جميعا خبراء، ماظلوا قادرين على التقاط الصور الفوتوغرافية؛ فتتهدم الشعيرة التقليدية لما سمي بالفن الراقي.

يورجين هابرماس

أما يورجين هابرماس مجدد مدرسة فرانكفورت، فيمثل النظرية النقدية في مرحلة ما بعد الحداثة، وهو من أبرز المعبرين عن الاتجاه العقلاني، إذ نقد الطابع التقني والوضعي القمعي للعقل في الممارسات الرأسمالية والاشتراكية.

ويمثل هابرماس الجيل الثانى للنظرية لمدرسة فرانكفورت وهو الجيل الذى قاد النظرية النقدية نحو مرحلة متقدمة من الشمول والاتساع وجعلها أكثر انفتاحا على العلوم الأخرى. وهو ينتمى الى حقلى الفلسفة والسوسيولوجيا . صدر له 20 مؤلفا أبرزها كتاب النظرية والتطبيق الذى يحوى نقدا عميقا للماركسية.

ويعد أيضا عند توم بوتومور المفكر الأكبر لما بعد مدرسة فرانكفورت أو النظرية النقدية الجديدة. و"على الرغم من قربه من الماركسية، فإنه يختلف مع ماركس في أمر أساسي: فهو يرى أن ماركس قد أخطأ في إعطائه للإنتاج المادي المركز الأول في تعريفه للإنسان في رؤيته التاريخية، باعتباره تطورا للأشكال والأنماط الاجتماعية.

اهتم هابرماس بدراسة الثقافة والاعلام كما تناول الصحافة الراسمالية التى تدافع عن النظام القائم والسلطة المرتبطة بها مصلحيا وايديولوجيا، كما تناول من خلال التتبع الدقيق اساليب السلطة فى تطوير لغتها داخل الصحافة لمواجهة التطور الذى انجزته المعارضة.

صاغ هابرماس فى دراسته للتطور الاجتماعى والسياسى فى اوروبا مقولة جديدة هى "المجال العام " public sphereوكانت هذه المقولة هى موضوع رسالته التاهيلية للتدريس فى الجامعة، وقد اعدها عام 1961 ونشرها عام 1962، وجاءت بعنوان : التحولات البنائية للمجال العام . تناول هابرماس فى هذا العمل رؤيته للمجتمع باعتباره شبكة من العلاقات قوامها آلية محددة هى التواصل. قام هابرماس

بدراسة المجال العام منذ نشأته فى القرن السابع عشر وتطوره عبر القرنين الثامن عشر و التاسع عشر وحتى اضمحلاله طوال القرن العشرين.

وقد عرض فى دراسته كيف بدأ المجال العام فى القرن السابع عشر بين مجال الدولة والمجال الخاص من الاسرة والمجتمع المدنى، فلم يكن ذلك المجال جزءا من مجال الدولة بل على العكس كان معارضا لها ولآلياتها القانونيه والبيروقراطيه، كذلك لم يكن جزءا من المجتمع المدنى الذى تحكمه آليات السوق و المصلحة الشخصية. كذلك عرض لتطور مفهوم الرأى العام فخلال النصف الأول من القرن التاسع عشر حدث للمجال العام تحولا بنائيا وتاريخيا حيث أدى الحوار النقدى الذى أتاحه المجال العام الى التاثير على شكل الدولة الحديثة مما أدى الى تأثير مباشر فى سياسات الحكومات. وفى اطار ذلك تناول هابرماس الأدب فى مرحلته الكلاسيكية والانسانية الشمولية الى مرحلة أخرى هى تحويل الانتاج الثقافى الى سلعة حيث أشار ال اختفاء الدور النقدى الجاد فى العروض الثقافية واصبحت الدعاية والتسطيح هما البديل السريع مما ادى الى قتل الوظيفة الحيوية التى كان يمارسها النقد الأدبى، وبهذا الفهم يتضح أن المجال العام يعد وسيطا بين المجتمع المدنى والدولة، والدليل على ذلك أن المجال العام أقدم من القانون المدنى الذى جاء لينظم الحريات الاساسية كحرية الرأى والنقاش والنشر والاجتماع، ولهذا، يرى هابرماس أن التفاعل الاجتماعي هو أيضا بعد أساسي من أبعاد الممارسة الإنسانية، وليس الإنتاج وحده، وهو ما يوضح فلسفته التي تقوم على مفهوم الاتصال أو التواصل، وعلى أسبقية اللغة، وأولويتها على العمل.

والعقل الاتصالي عند هابرماس، هو فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات، والعقل الشمولي المنغلق الذي يدعي أنه يتضمن كل شيء، والعقل الأداتي الوضعي الذي يفتت الواقع ويجزئه، ويحول كل شيء إلى موضوع جزئي حتى العقل نفسه"

إن هذا التطور يسجل ابتعادا أكثر عن نظرة مدرسة فرانكفورت في مرحلتها الأخيرة، وأصبح هذا التباعد أكثر صراحة بإعلان هابرماس أنه يتناول النظرية الاجتماعية بوصفه: "منظرا ماركسيا مهتما بمواصلة التعاليم الماركسية في ظل ظروف تاريخية متغيرة على نحو كبير". وهكذا، قدم هابرماس عناصر النظرية الماركسية المعاد بناؤها في عملين مهمين خلال السبعينيات، دار أولهما حول مشكلات الشرعية في المجتمعات الرأسمالية إبان مراحل تطورها الأخيرة، والثاني حول المادية التاريخية".

النظرية النقدية و نقد محتوى وسائل الإعلام:

اهتم مفكرو النظرية النقدية بالتأثيرات السلبية لوسائل الإعلام من خلال بروز مفاهيم مرتبطة بهذه النظرية على غرار مفاهيم الثقافة الجماهيرية و تسليع الثقافة، و خداع الجماهير و غير ذلك من المفاهيم و المقولات الأساسية في الخطاب الفكري العام لمؤلفات و دراسات أصحاب الاتجاهات المنضوية تحت مشروع النظريات النقدية، و هي صلات وروابط سمحت بافتراض تبني مدرسة فرانكفورت لموقف نقدي إزاء وسائل الإعلام الجماهيرية باعتبار الوظائف التي تؤديها في المجتمع الحديث الجامع بين التصنيع و الاستهلاك .

و فهم الإطار البراديغمي للنظريات النقدية يتحقق من خلال تحديد أهم المفاهيم المركزية الفكرية في مشروعها الحامل للصفة النقدية، ذلك أنّ منطلقات النظرية النقدية تسعد البحث على التأصيل الفكري الاجتماعي و الفلسفي لمواقف أصحاب مدرسة فرانكفورت من الثقافة السائدة عموما و من مضامين وسائل الإعلام و تأثيراتها .

1. **ضد الوضعية و الإنسان ذي البعد الواحد :**

يمثل نقد الفكر الوضعي و التجريبي مرتكزا أساسيا من مرتكزات المدرسة النقدية التي ترفض تألية الواقع وحتمية الكليات وطمسها للفرد ولكل ما هو فردي، و هي الفكرة الأولى المؤسسة لتعارضها مع أهم مسلمات الاتجاه الوضعي الذي يشكل بدوره أحد الرئيسة للمنظور الوظيفي لوسائل الإعلام، و لكن كيف تفهم النظريات النقدية النقد، و ماهي المبادئ المؤطرة لمواقفها

ففي ظل فهم مستندات الموقف الناقد للوضعية والمرتكزات الفكرية لفكرة النقد، نفهم الأسس الأخرى ، للنظريات النقدية والمتمثلة في إحياء دور التأمل وأهميته وذلك بوصفه عنصرا حيويا من عناصر العقل إضافة إلى مبدأ جدلية العقل والواقع وكلّها تفرعات لفكرة أساسية تتمثل في مركزية مفهوم العقل، ومحاولات مدرسة فرانكفورت توسيعه وربطه بمفهوم الحرية، حيث تؤمن النظريات النقدية بقدرة العقل الإنساني و دوره في التحقيق الذاتي من خلال الوعي الحر للذات بذاتها

وبالنظر في هذه المرتكزات الفكرية للنظريات النقدية، يبدو واضحا دفاعها عن الفرد وعقله ووعيه الحر، وحقه في التحقق الذاتي وهو ما نستنتج منه النقد الصريح للفكر الوضعي الذي حسب أعلام المدرسة النقدية ينتج أفرادا من بعد واحد، مع ما يعنيه ذلك من تعطيل للعقل وسلب للحرية حيث حتمية العقل « وضغط المؤسسات، وهو ما يفرز بدوره ظواهر عبر عنها مفكرو مدرسة فرانكفورت ب « الكلي، وغيرها من الأفكار والأوصاف الحاملة لمضمون نقدي يدافع « البعد الآحادي « و «

التشيؤ « و « الأداتي، كما بشر فلاسفة التنوير .بالخصوص عن المنظومة القيمية للعقلانية وللحداثة

2-2-نقد الثقافة الجماهيريّة وتسليع الثقافة والهيمنة:

إن نقد النظرية النقدية للمجتمع الصناعي الحديث الاستهلاكي، حتم آليا نقد وسائل الاتصال باعتبارها نظم اجتماعية تساند وظيفيا أهداف ومصالح النظم الماسكة بالسلطة والثروة. ومن ثمة، فهي وسائل في هيمنة ممّا يدعم خدمة الأطراف المهيمنة على مجالي السياسة والاقتصاد وناقلة لرموز ومعاني القوى الما إلى المقاربة الماركسية وجدلية السيطرة على الثروة انتساب النظريات النقدية في جزء من أطروحات والسيطرة على المعنى أي جدلية البنى الفوقية والتحتية.

ا اتجاهات النظريات النقدية، ما يتوافق إلى حد كبير مع مجال وسائل الاتصال ومن الظواهر التي نقد وتحديدا وسائل الإعلام الجماهيرية ونعني بذلك مسائل الثقافة الجماهيرية المعبر عنها أيضا بالصناعة الثقافية وأيضا ظاهرة الهيمنة وما ينتج عنها من تأثيرات سلبية تساهم في تشييئ الجمهور وجعله متلقيا سلبيا يفتقد إلى التفاعل النقدي، في حين أن أعلام النظريات النقدية يرون أن قدرة العقل هي الأصل في الأشياء وعكس ذلك ينضوي السلبية. وفي هذه النقطة تكشف مدرسة فرانكفورت عن جزئية مهمة في مفهوم صناعة الثقافة وهي أن هذه الثقافة ضمن ثقافة الهيمنة وتأثيرا »تقوم على إيديولوجيا أكثر من الثقافات السابقة .

إن تطبيق أبعاد مفهوم صناعة الثقافة على المحتوى التي تقدمه وسائل الإعلام الجماهيرية، يجد صدى لا بأس به حيث من الصعب التقليل من ظاهرة حمى التسابق بين القنوات والإذاعات على تقديم برامج التسلية والترفيه وإقحام آلية الجوائز لاستقطاب أكثر ما يكمن من الجماهير وهي برامج وإن من المنظور الوظيفي تخفف من رتابة الحياة اليومية، فإن التركيز المفرط عليها وجعلها في صدارة محتوى الفضائيات والإذاعات قد كرس قيم الربح السريع وثقافة الاعتماد على الحظ إضافة إلى هيمنة المادة الإعلانية على Pierre Bourdieu) وتأثيرها بسبب تكرار بثها وتلاعبها بالعقول حسب تعبير بيار بورديو توجيه السلوك الاقتصادي للأفراد ففي هذا المعنى يتنزل مفهوم تسليع الثقافة لتيودور أدورنو الذي يرى أنها كلها سلعة والربح هو كل شيء مع ظهور الرأسمالية أصبحت منتجات الصناعة الثقافية .

نفهم الترابط بين الثقافة الجماهيرية وصناعة الثقافة وما يعبران عنه من فرض لمفهوم التشيؤ الذي صاغه مع ما يفيده من ضرب لقيمة العقل التي يقوم عليها نقد النظريات (G. Lukas) جورج

لوكاش النقدية ذلك أنه وفق هذه المنطلقات، تتمظهر صناعة الثقافة في إنعاش وسائل الإعلام الجماهيرية للجوانب الغرائزية في الإنسان أكثر من الجانب العقلي والعقلاني والنقدي فيه.